يقوما باصالات واسعة مع الشعب الذي كان بامكانه بناء على الفرصة التي سنحت له ان يعرف القيصر بعدد كبير من حالات التجاوزات والمظالم . وكانت النتيجة الأولى لهذه الدعوة الى تقديم الشكاوى العامة هي انجاز مجموعة جديدة من القوانين بدىء بكتابتها في عام ١٥٥٠ نفسه .

لقد كانت روسيا دولة تخلى فيها الأمراء الوراثيون واسياد الأراضي عن استقلالهم ولكنهم لم يتخلوا عن قوانيتهم . وكانت مجموعة القوانين سيئة التنظيم . فالقانون المعمول به في موسكو لا يمكن اعتباره ملزما في نوفغورود وبسكوف والعكس بالعكس. وكان إيڤان يقف في أعلى مكان من الامبراطورية فوق أمراء البلاد ، فلم يكن مستغربا اذن شعور أول قيصر لروسيا بواجبه في وضع مجموعة قوانين جديدة للبلاد. وكان من الواجب ايجاد ربط بين كل القوانين المحلية والغاء بعضها بسبب ما فيها من تناقضات .

واشترك القيصر الشاب بنفسه في موضوع إعادة النظـر . وعلى الرغم من أنه لم يكن قد درس التشريع فإنه كان يمتلك مع ذلك رؤى محددة عما يريد إدخاله في القوانين الجديدة . ولقد اظهر مرة اخرى ان ترقية نفسه الى مرتبة القيصر لم تكن مجـرد إجراء شكلي فتغيير اللقب كان لا بد من ان يتخذ مكانه في تعديل القانون . وكان إيڤان يريد أن يجمع بين يديه جزءاً كبيراً من السلطة الموزعـة على الأمراء ، فكلمة « السيادة » كانت تعني المركزية وتوحي باستبداد اكبر . وإيڤان الذي كان قد اختار مستشارين من الشعب كان يسعى للحصول على سند لعرشه في عنصر اقل اضطراباً واقل قسوة من طبقة النبلاء .

ويجب أن نفترض ان الشعب الروسي كان مسروراً من فكرة ان يكون محكوماً من القيصر نفسه بدلاً من موظفين من النبلاء وان يعـاد النظر في قوانين البلاد كي تكون اكثر وضوحاً . وكان للبويار والحاشية ممثلوهم ولكنهم لم يكونوا يشكلون وحدهم كل روسيا ، فعلى الرغم من